دور الأمير حمدان أبي عنجة في فتح الخرطوم 1885م خلال الدولة المهدية في السودان

The role of Prince Hamdan Abi Anja in the conquest of Khartoum in 1885 AD during the Mahdist State in Sudan

د. عبد الله الزبير يوسف الزبير، الأستاذ المشارك/بكلية التربية/قسم التاريخ/جامعة بخت الرضا، جمهورية السودان،
abdallaelzubeir441@gmail.com

تاريخ الارسال: 2026/02/13 تاريخ القبول:2026/04/22 تاريخ النشر: 2026/06/04

الملخص:

هدفت الدراسة إلي إبراز شخصية الأمير حمدان أبي عنجة من حيث النشأة والانضمام للثورة المهدية ودوره العسكري في تحرير الخرطوم. استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التاريخي التحليلي. توصلت الدراسة إلى أن الأمير حمدان أبي عنجة يتمتع بمقدرة عسكرية فائقة في ميادين القتال المختلفة مما ساعد في فتح أمدرمان وتحرير الخرطوم. أوصى البحث بدراسة دور أمراء المهدية ومعرفة جهودهم في صناعة الأحداث المهدوية كحركة مقاومة وتحرير وطني ضد الأتراك في السودان .

كلمات مفتاحيه: إبراز ، شخصية، الأمير حمدان أبي عنجة، الخرطوم، المهدية

Abstract

The study aimed to highlight the personality of Prince Hamdan Abu Anja in terms of upbringing and joining the Mahdist revolution and his military role in liberation ofKhartoum. The study used the descriptive analytical method. The study found that Prince Hamdan Abu Anjahad a superior military capability in various battlefields, which helped him to open Omdurman and to liberate Khartoum. The study recommended studying the role of the Mahdia princes and knowing their efforts in making Mahdia events as a resistance and national liberation movement against the

Turks in Sudan.

Keywords: Highlight, personality, Prince Hamdan AbiAnja, Khartoum, Mahdia.

مُقدِمـــــة:

يُلاحظ أنّ الدراسات السابقة في تاريخ المهدية مع أهميتها رغم الجُهد التي بذل فيها ، لم تُخصص بصورة منفصلة ومستقلة الحديث عن معركة أو حادثة مهمة ترتبت عليها نتائج كثيرة مثل فتح الخرطوم وغيرها .

* أهمية البحث: دراسة دور الأمير حمدان أبي عنجة تمثل سجل حافل بالبطولة والتضحية وهو دّرس وطني خصب يمكن أن نأخذ منه الكثير من العبر والدروس في التضحية والنضال لأجل البلاد .

***أهداف البحث:**

1- إلقاء الضوء على شخصية الأمير حمدان أبي عنجة مع التركيز على دوره في حروبات الثورة المهدية خاصة فتح الخرطوم .

2- إبراز دوره ومساهمته في تحرير الخرطوم من الاحتلال التركي في السودان .

*** منهجية البحث:**

استخدم الباحث المنهج التاريخي الوصفي التحليلي .

*** خُطّة البحث:**

جاء البحث تحت عُنوان (دور الأمير حمدان أبي عنجة في فتح الخرطوم) وتكونت هذه الدراسة من مبحثان الأول: تناول نشأته وانضمامه للمهدية . والثاني: تحدث عن دوره في فتح الخرطوم من خلال جهوده في فتح أمدرمان . واعتمدت هذه الدراسة علي عددٍ من المصادر والمراجع التي تعتبر من أمهات الكتب التي تناولت الحديث عن المهدية.

المبحث الأول: نشأة حمدان أبي عنجة وانضمامه للمهدية :

أولاً: نشأته:

ولد حمدان بن حميدان الذي أشتهر باسم ابنته (عنجة) في عام 1837م وترعرع في كنف عائلة الخليفة عبد الله وقيل أن حمدان قد لقي معاملة حسنة من قبل عبد الله وعائلته بل اعتبر كفرد من أفراد تلك العائلة ، وكان من عادة التعايشة أن يحسنوا معاملة رقيقهم بل كانوا أحياناً يزوجونهم من بناتهم ، فتعلم حمدان منهم فنون الفروسية واشترك مع القبيلة في حروباتها

ضد أعدائها[1]. كانت أمه (مُنضلية) أما أبوه فمن قبيلة البرنو وكان قد نشأ مع الشيخ محمد الذي أعتقه فيما بعد . وانضم في شبابه لقوات الزبير باشا رحمة فأبلى بلاءً حسناً إلى جانب الزبير عند إغارته على الرزيقات فقتل عدد كبير منهم حتى سقط أسيراً فحكم عليه (مادبو على) انتقاماً منه بأن يحمل حملاً ثقيلاً ويسير به لمسافات طويلة وعمل على إذلاله بشتى الطرق فهو لا يحتمل أن يقتل أبا عنجة العبد المعتوق أفضل رجاله وأشجعهم ، بيد أن أبا عنجة تمكن من الفرار فانضم لقوات سليمان بن الزبير ، فقاتل معه في كل حملاته وبقي معه حتى قبل سليمان ابن الزبير الاستسلام ، فغادر حمدان حينئذ ولحق برابح فضل الله فظل معه حتى سمع خبراً مدوياً وهو أن المهدي الذي طال انتظاره ووضع أهل الغرب فيه كل أمالهم قد ظهر بالجزيرة أبا[2] (هو أحمد بن أحمد أبو عائشة) حامد أشهر القادة العسكريين في الدولة المهدية بالسودان – شارك في أكثر من موقعة وعملية عسكرية خاضتها جيوش المهدية ضد القوات التركية والبريطانية وانتصر فيها من بينها تحرير الأبيض ، معركة شيكان ، وتحرير الخرطوم[3] (هو حمدان بن أحمد سعد الدين بن عز الدين أبو عائشة حامد) ولقبه (أبي عنجة) كان جده لأبيه داعية إسلامي يُدير ويدّرس في خلوة تضم عدداً من الدارسين لعلوم القرآن والشريعة ، وكان يُقيم في منطقة (العباسية وشر كيلا) بجنوب كردفان بعد أن هاجرت أسرته إليها من (دار حَمر) بشمال كردفان ، حيث تزوج جده بابنة الملك (جيلي) بن الملك (آدم أم دبالّوا) في منطقة جبال النوبة – تنتمي أسرة حمدان أبي عنجة إلي قبيلة (الحمر) فرع القشيمات ووالدته هي السيدة (أم جدين بنت النعمة) وثمة قول أخر شائع ينسب حمدان إلي قبيلة (المندلة) إحدى قبائل النوبة في جنوب كردفان[4].

أما أزواجه وأبنائه: الراجح أن حمدان أبي عنجة قد تزوج بعدد من النساء في عدة أماكن بالسودان بعضُها في موطنه الأصلي دار حمر وأبو زبد في كردفان ، والبعض الأخر في دار فور وسنجه وكسلا والقضارف والقلابات وارتريا في منطقة (كرن ونستني) وزوجته الأولي هي (السيدة أم الحسن) بنت الفكي منضل من قرية الدواك بمدينة النهود فأنجبت له ابنه الأكبر أحمد الذي ولد بالقضارف وابنه الثاني الهادي من أم الحسن نفسها التي كانت تنتقل مع زوجها في ميادين القتال في كردفان وأمدرمان[5] وتزوج حمدان زوجته الثانية من المسيرية الزرق من منطقة (لقاوة) بجنوب كردفان وأنجبت له ابنتان. وعرف أن للأمير حمدان عدداً من أعمامه شاركوا معه في حروب الثورة المهدية مع الأحباش في القلابات[6].

[1]– محمد سعيد القدال: المهدية والحبشة (دراسات في السياسة الداخلية والخارجية لدولة المهدية (1881–1898م) ط 1973م ، دار التأليف والترجمة والنشر/جامعة الخرطوم ، ص58 .

[2]– ينة فيفيان ياجي: رجال حول المهدي ، ترجمة مكي بشير مصطفي ، ط2001م، شركة الخرطوم للطباعة والنشر ، ص59

[3] -f.R.Wingate :lenyears coptivitrin the mahdiscom(1) 1882- 1892)Release date june8 2010 p125.

[4]-Kalifa Abdullah summoned Abu Anga to Omdurman p159.

[5]– محمد سعيد القدال: المرجع السابق ، ص61 .

[6]– إبراهيم فوزي باشا: السودان بين يدي غردون وكتشنر ، تقديم عبد الوهاب بابكر ، ج[1] ، ط2015م ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية/القاهرة ، ص61 .

أما وصفه يُقال أن حمدان كان طويل القامة غليظ الوجه قوي البنية خفيف اللحية ، أسود اللون مُهيب الطلعة ، وكذلك وصف بأنه كان حسن الخُلق سديد الرأي من أشدّ قواد المهدية بأساً وأكثرهم جُرأة وأكثر من شهد قتالاً من بين قواد المهدية ، وهو من الأمراء الذين عينهم الأمام المهدي بنفسه وكان مطيعاً للخليفة عبد الله إلى درجة بعيدة ، حيث بلغ عدد الخطابات التي تبادلها معه ما يقارب 863 (ثمانمائة ثلاثة وستون خطاباً) [1].

وتمتع حمدان أبي عنجة بطباعٍ شريفة وأخلاق حميدة ميمونة الطالع ، ذو دهاء يعرف به كيف يتمكن من امتلاك قلوب الرجال بالإحسان واللين[2] وتميز حمدان أبي عنجة بصراحته وإخلاصه لكلمته ، فقد كان ذا جُرأة تفوق حد الوصف وحزم لا يتزعزع وصبر عند الملمات وقد جعلت له كل هذه الصفات ميزة خاصة عند الخليفة عبد الله[3].

ثانياً: انضمامه للمهدية:

انطلق حمدان أبي عنجة يرافقه الزاكي طمل وبعض رفقائهما يبغون اللحاق بالمهدي وأثناء سيرهم التقوا بيعقوب بن الشيخ محمد بن على الكرار بصحبة أهله وهو في طريقه نحو المهدي ، ثمّ قابلوا محمد أحمد المهدي وهو في طريقه إلى قدير فبايعوه حتى الموت[4] ولمع اسم حمدان أبي عنجة عندما أوكلت إليه مهمة قيادة (الجهادية) التي كونها المهدي بعد أن رد هجومه الأول من قبل حامية الأبيض في المعركة التي عرفت (بمعركة الجُمعة) والتي جرح فيها عدد كبير من الأنصار عام 1883م ، وعدّل عن رأيه بعد استشارة خلفاءه بقوله من أراد النصر عليه أن يأخذ بأسبابه[5]. فتكونت قوة عسكرية تُجيد استعمال السلاح الناري عُرفوا (بالجهادية) وهم حملة السلاح الناري من الجنود المحترفين من الأصل الزنجي الذين كانوا في خدمة الحكم التركي-المصري ثم أخذوا يلتحقون بالمهدي تباعاً إثر كل انتصار يحرزه بعد أن تدربوا على كيفية استخدامه تحت إشراف الأمير حمدان أبي عنجة بأمرٍ من السيد المهدي ، لأنه ذو معرفة تامة بفنون القتال يجيدها بمهارة نادرة كما كان خبيراً بحرب العصابات وحيلها[6] وقد اشترك حمدان أبي عنجة بجهاديته هذه اشتراكاً فعالاً في انتصار المهدي على حملة هكس باشا[7] فهو الذي أرسله المهدي لمناوشة هذه الحملة فأقلق مضجعهم ومنعهم من الوصول إلى موارد المياه مضيقاً الخناق باستمرار على

[1]- أمينة فيفيان ياجي: المرجع السابق ، ص62 .

[2]- المرجع نفسه: ص74 .

[3]- محمد سعيد القدال: تاريخ السودان الحديث (1821 – 1855م) ط1991م ، دار جامعة الخرطوم للنشر/ ص136 .

[4]- أمينة فيفيان ياجي: المرجع السابق ، ص64 .

[5]- المرجع نفسه: ص64 .

[6]- على المهدي: جهاد في سبيل الله ، تحقيق عبدالله محمد احمد ، ط1965م ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، ص71 .

[7]- محمد محجوب مالك : المقاومة الداخلية للحركة المهدية (1881- 1898م) د.ت ، دار الجيل/بيروت ، ص ص (171،172)

أجنحة جيشهم ، ثم هاجم أبي عنجة أحد أرباعهم فأصيب حصانه بجرح قاتل فسقط تحته فتخلص أبي عنجة بسرعة من ركابه وانطلق شاقاً طريقه بحد سيفه وسط الأعداء ، فاستولى على حصان بعد أن قتل صاحبه فواصل القتال حتى انسحب العدو إلى زريبته بلا نظام ، واتخذ حمدان عند ذلك موقعاً أمام الزريبة وقسم رايته إلى ثلاثة مجموعات فوضع إحداهنّ على يمين الزريبة والأخرى على يسارها والثالثة أمامها ، وكل مجموعة تحت قيادة أحد الأمراء ، كما وضع بعض القناصة على رؤوس الأشجار المحيطة بالزريبة وقد ظل أبي عنجة يطلق النار على كل من يتحرك داخل الزريبة حتى دارت المعركة وانتهت في أقلّ من ساعة وأبيد من خلالها الأعداء[1].

المبحث الثاني : دور حمدان أبي عنجة في فتح الخرطوم : برز دور حمدان أبي عنجة في التهيئة لفتح الخرطوم من خلال محاصرته لحامية أمدرمان المنيعة حتى اضطرت للاستسلام – وتعرف هذه الحامية (بطابية أمدرمان) وهي واقعة تجاه طابية المقرن وبينها وبين شاطئ النيل الأبيض نحو 500 متر ، ويوصلها بسرايا الخرطوم خط تلغرافي عبارة عن خندق عميق من داخله سور منيع مفتوحة فيه المزاغل وعليه الأبراج ، ومن داخل السور بئر ماء للشرب وفيها أورطة من العساكر المصرية عليهم (فرج الله بك قمندان)[2].

أولاً: معسكر المهدي:

عسكر محمد أحمد المهدي في منطقة أبي سعد على الطرف الجنوبي من طابية أمدرمان عند مكان اسمه (الفتيح) على بُعد نحو عشرة أميال من معقل أمدرمان ، وأرسل جاسوساً يحمل نحو ألف نسخة من كتاب يدعوا به أهل الخرطوم إلي التسليم له ، ووضعت الكتب في إناء صفيح على شكل إبريق احتمله هذا الجاسوس وسبح به في النيل الأبيض حتى وصل إلى شاطئ المدينة ، حيث لا حراس يقومون بحراسة الشاطئ من جهة النيل لاتساعه ، وإنما وضعت الجنازير فقط في المضايق لمنع السفن البخارية أو الشراعية من الوصول إلي المدينة . ووزع الجاسوس الكتب وألقي بعضها في الطرقات والأزقة والمنازل ثم اختفي في المدينة حتى قفل راجعاً من حيث جاء ، ولم يتيسر القبض عليه ومن ثم أمرني (المؤلف) غردون بوضع عسس في شواطئ النيلين الأزرق والأبيض ثم انقطع وقوع مثل هذه الحادثة وضبط العسس كثيراً من جواسيس المهدي ، وكان غردون يأمر بإطلاقهم ولا يسمح بمعاقبتهم[3].

ثانياً: تكليف المهدي لحمدان أبي عنجة بحصار أمدرمان :

[1]– مكي شبيكة : تاريخ شعوب وادي النيل (مصر والسودان) في القرن التاسع عشر الميلادي ، ط1980م ، دار الثقافة/ بيروت ، ص82 .

[2]– نعوم شقير : جغرافية وتاريخ السودان، ط2 1972م ، دار الثقافة للنشر/ بيروت لبنان ، ص848 .

[3]– إبراهيم فوزي باشا : المرجع السابق ، ص ص (326 ،327)

بدأ السيد الإمام المهدي في توجيه الحصار لأمدرمان ، وقد قلد قيادة قواتها لحمدان أبي عنجة ، ولكنه لم يجرأ على إرسال قواته المؤلفة من السود الذين حاربوا في السابق في خدمة القوات المصرية تحت إمرة غردون ضد حامية أمدرمان والخرطوم ، خوفاً من احتمال هروبهم وانضمامهم إلي غردون نظراً للتأثير الذي مارسه عليهم غردون من قبل[1].

ثالثاً: تنظيم أبي عنجة لقواته وأخذ الاحتياطات :

أقام الأمير حمدان أبي عنجة الطوابي حول كل المنطقة وكانت كل طابية تحت قيادة أحد الأمراء وكان عددها خمسة ، ثلاثة من جهة الشرق واثنتان من جهة الجنوب وتولي هو قيادة احدي الطوابي الشرقية ومعه جهاديته بقيادة (الزاكي طمل) وتولي قيادة الطابيتين الأخيرتين الأميران (النور عنقرة وعبدالله ود إبراهيم) أما الطابيتان الجنوبيتان قد كانتا بقيادة الأميرين أحمد سُليمان والسيد طه ، وقد كانت كل هذه الطوابي تقع تحت خط النار من قلعة أمدرمان وقلعة المقرن بالإضافة للبواخر التي كان تعبر النيل بلا توقف ، وكان هم أبي عنجة الأول أن يجد منفذاً إلي قلعة أمدرمان[2].

رابعاً: معركة أمدرمان :

قيل أنّ حمدان أبي عنجة عندما تلقي أمر الإمام المهدي بحصار أمدرمان في يوم الأربعاء ومن ثمّ عزم أن لا ينزل من حصانه إلا عند مكتب التلغراف بأمدرمان ليستلمه ويقطع صلتها مع الخرطوم ، فسار في مُقدمة جيشه بشاطئ النهر فانبرت له سبعة وابورات كل واحدة منها تقطر أربعة صنادل مليئة بالجنود فصبوا عليه نيران بنادقهم وقنابلهم ، وقد ساندتهم طوابي الحكومة حتى أن الدخان والعجاج حجبا الرؤيا ووسط ذلك كان حمدان يشجع رجاله وهو على ظهر حصانه حتى وصل لمكتب التلغراف واقتحمه وكان به اثنان من عمال التلغراف فتمكن أحدهم من القفز بالشباك وقتل الأخر وأخرج حمدان كرسياً من المكتب فجلس عليه أمام الباب متجهاً نحو الخرطوم[3].

ظلت الوابورات والطوابي تمطر جيش حمدان بنيرانها منذ بزوغ شمس يوم الأربعاء حتى الساعة الحادية عشر نهاراً ، ثم توقف الطرفان عن القتال فجمع الشهداء وكانوا بين ثلاثمائة إلي خمسمائة من جيش حمدان ، وكان ذلك في 12 من نوفمبر 1884م ويبدو أن حمدان قد خسر خسائر جسيمة أما من جانبنا نحن فقد فقدنا الباخرة (الحسينية) بعد أن أصابتها قذيفة مدفع وغرقت بالقرب من جزيرة الشيخ أبو زيد وقد فقد معها (اليوزباشي) مصطفي أفندي وبعض الجند وبعض الجرحى من الخدم ، لكن حمدان تمكن من الاحتفاظ بمواقعه بعد المعركة حول أمدرمان وأقاموا حصناً بين أمدرمان والخرطوم ، كما أقاموا

[1]- الأب جوزيف أورفالدر : عشر سنوات من الأسر في معسكر المهدي ، (1882 – 1892م) ترجمة السفير عوض أحمد محمد الضو ، ط2008م ، دار الثقافة للنشر/بيروت ، ص147 .

[2]- أمينة فيفيان ياجي : الخليفة عبد الله حياته وسياسته (أطروحة دكتوراه قدمتها عام 1990م) ، ترجمة مكي بشير مصطفي ، مراجعة الريح عبدالقادر ، ط1990م ، ص ص (68 ، 69).

[3]- على المهدي : المرجع السابق ، ص69 .

محطات مراقبة على ضفة النهر لإطلاق النار على البواخر ، وقام غردون باشا من جانبه بعمل حصون علي ضفة النهر المقابلة وأقام محطات للمراقبة أيضاً كما قام ببناء حصن في جزيرة توتي واستمر تبادل القذف المدفعي بين الجانبين ، وفي اليوم الرابع تواصلت المعركة وأصلت قوات حمدان بنيرانها إلي الساعة الثانية عشر ظهراً حتى تعطلت إحدى صنادلها[1].

وكانت الإشارات دائرة بين غردون باشا بسرية وحامية أمدرمان وقد كان من قوات حمدان من له علم برموزها فأبلغوه أن قائد الحامية أرسل إشارة لغردون يقول فيها أن مؤونته قد فرغت فان لم يُزود باللازم حتى أخر هذا الأسبوع فسيضطر للتسليم ، فرد عليه غردون بأن ستصله وابور بعد باكر تحمل المؤن الضرورية تحرسها وابورات وصنادل ، وأمره بأن يتخذوا الترتيبات اللازمة فينزلوا بالجدول المتصل بالنيل لاستلامها ، وستكون الوابورات التي ستحمل المؤن في الوسط وستقف عند الجدول المتصل بالنيل ، وأمره كذلك أن يرسل قوة كافية لاستلام المواد المرسلة له وبلّغه أن الوابورين ستشغلان الأنصار إلي أن يتم الاستلام[2].

عندما علم أبي عنجة بمحتوى هذه الإشارة بعد تحريات دقيقة ، طلب من خليفة الصديق أن يمُده بقوة كافية من المشاة وأصحاب السيوف والحراب وقوة أخري كافية من الفرسان ليكونوا عند السرداب المكشوف الذي يربط بين موقع استحكام عساكر حامية أمدرمان وشاطئ النيل داخل الخور المعروف (بخور أبي عنجة) فأرسل خليفة الصديق القوة المطلوبة ، وقد أبعدت الخيول عن السرداب خوفاً عليها من قنابل الطوابي وزحف المشاة فرقدوا عند حامية السرداب وحفروا خندقاً قريباً من السرداب بأمرٍ من أبي عنجة لتُحمي به حملة السلاح الناري الذين يردون على طابية أمدرمان ، ويصمتون عندما توجه بنادقها وقنابلها نحو المشاة أصحاب السلاح الأبيض . وجهزت كل قوة في مكانها للعمل في اليوم المعين لإرسال المؤن للحامية ، وفي اليوم المتفق عليه أقبلت الوابورات والصنادل عليها العساكر وبدأ وابورا الحراسة اللتان تسير بينهما الوابورات المحملة بالمؤونة والذخيرة تصليان قوات الأنصار النّار الحامية وعززت ذلك طوابي الخرطوم وأمدرمان ، وخرجت من استحكام أمدرمان قوة من العساكر في هيئة مربع وانحدروا إلي السرداب ، فانقضت عليهم قوات أبي عنجة من حافتي الخور وقضوا على أغلبهم وهرب بعضهم وأرغمت الوابورات على الرجوع ، فتقهقرت إلي الخرطوم بعد أن قتل كثير ممن كانوا على ظهورها ، رغم مقاومة (محمد بك إبراهيم) قائد الوابورات لكنه لم يتمكن من اختراق قوات أبي عنجة والتقدم نحو أمدرمان فأضطر للرجوع إلي الخرطوم ، وقيل أن غُردون كان يشاهد كل هذه المناظر بمنظار عظيم من سطح سرايا بالخرطوم وقد وصل النبأ أنه وبخ ضباطه كثيراً وأبدي لهم أسفه بأنهم خيبوا ظنه وأنه ينتظر رجال الحملة الانجليزية ليخلصوه من هذا الموقف[3].

خامساً: مُحاولة غُردون سحب حامية أمدرمان:

[1]- الميجر إف . آر : ونجت (1891م) تقديم بي . إم . هولت ، ترجمة محمد المصطفي حسن عبد الكريم ، ط1968م ، المطبعة المصرية/القاهرة ، ص193 .

[2]- على المهدي : المرجع السابق ، ص70 .

[3]- المرجع نفسه : ص71 .

عندما اشتد الحصار الذي ظل يفرضه أمير المهدية حمدان أبي عنجة على حامية أمدرمان بعد أن فشلت محاولات إمدادها بالمعونة ، اتصل غردون بالحامية عن طريق الإعلام طالباً منهم الخروج في الرابع من يناير 1885م لملاقاة الباخرة التي سوف يرسلها لإجلائهم . وبالفعل في فجر الرابع من يناير أمر غردون قائد الباخرة بالتوجه إلي شمال أمدرمان وانتظار قوات الحامية أن يصلوه أو يُقتلوا جميعاً ، وبالفعل تحركت الباخرة نحو أمدرمان وأخرج القمندان فرج الله باشا قواته (الكتيبة الثالثة من اللواء الخامس) في ثلاثة مربعات لكي يقوم بالتغطية والتحرك ، لكن نيران أبي عنجة الذي ظل مراقباً ومتتبع لهذه التحركات انهارت على الباخرة من بطاريات المدافع الثائرة فرجعت ، واندفعت قوات أبي عنجة نحو جنود فرج الله في هجوم سريع ، حاول غردون إرجاع الباخرة ولكنها لم تستطع اختراق النيران ، في حين أن قوات فرج الله قد أسرعت بالهرب إلي داخل الحامية ، مُخلفة ورائها عدد من القتلى من بينهم النقيب (أحمد أفندي فهمي) والملازم (عبد النبي أفندي) [1].

سادساً: استسلام حامية أمدرمان :

خلال هذه الأزمة استدعي فرج الله باشا للنظر في أمر استسلامه من عدمه ، فقرروا سؤال غردون باشا ولما خاطبوه بالإشارة يوم 5 من يناير 1885م أجابهم بأن من الأفضل أن يستسلموا ، عندها قام فرج الله باشا بالكتابة لحمدان حول ما استقر عليه الرأي وأرسل الخطاب بيدّ إمام الكتيبة مصحوباً بأحد الحراس[2].

إلا أنّ حمدان أبي عنجة قد ظن ذلك خدعة فواصل الضرب والقتال إلي أن خرج ضابطان يطلبان الأمان ، فطلب منهما أن يحضرا الرؤساء لأخذ العهد عليهما فحضر فرج بك محمد قمندان العساكر بأمدرمان ومعه ضباطه الكبار ، كذلك الشيخ موسى الأحمدي إمام الحامية فأخذ معهم العهد وأذن لهم بالرجوع بعد أن اتفق الطرفان على أن يكون التسليم صباح الأربعاء . ثم اجتمع جميع أمراء الطوابي عند حمدان أبي عنجة في صباح الأربعاء وهم السيد محمد عبدالكريم ، الشيخ أحمد ود سُليمان ، النور عنقرة ، السيد طه ، عبد الله ود إبراهيم ، الذاكي طمل وبلل ناقور الرزيقي وفي الضُحي ساروا لاستحكام أمدرمان في فرقة من الجهادية مكونة من نحو مائتين إلي ثلاثمائة مقاتل فاستقبلهم فرج بك عند الباب ومعه جميع ضباطه وإمام الفرقة ، وبعد تبادل التحية دخلوا محل السلاح لاستلامه فوجدوه جميعه قد وضع في مكان واحد ، وهنا خاطبهم أحمد ود سليمان أمين بيت المال بأنّ جميع الأشياء الشخصية قد سُمح لهم بأخذها مثل الرقيق والأمتعة والمنقولات وغيرها ، وأما الأشياء التي تخص الحكومة مثل السلاح والذخيرة والمهمات وغيرها فهي التي يستلمها منهم أمين بيت المال ، وبعد انتهاء الفرز استأذن أحمد ود سليمان حمدان أبي عنجة ليبلغ المهدي بما تمّ[3] .

[1]– عبد المحمود أبو شامة : من أبا إلي تسلهاي ، ط1986م ، د.ت ، ص216 .

[2]– الميجر إف . آر : ونجت : المرجع سابق ، ص193 .

[3]– على المهدي : المرجع السابق ، ص72 .

أرسل المهدي لخلفائه بأن ينتظروا في (شجرة الحضرة) والتي سميت بعد ذلك بشجرة غردون والآن تسمي (بحي الشجرة في أمدرمان) حتى يحضر قمندان وضباط حامية أمدرمان لتسليم أنفسهم لهم للمهدي ، وعندما وصلوا شجرة الحضرة التي تقع ما بين ديم أبي سعد والفتيحاب انتظروا ومعهم كل فرسانهم الذين قدر عددهم بعشرة ألف فارس ، وانطلق أحمد ود سليمان للحامية حيث بلغهم أن تعليمات المهدي أنّ يترك حمدان أبي عنجة ومن معه من أمراء الطوابي والجهادية في حراسة السلاح والذخيرة وأن يخرج كل الضباط والعساكر وما معهم من الخيول والجمال والحمير والخيام في طابور عسكري لتسليم أنفسهم لخلفاء المهدي ، فوقف العساكر صفوفاً سار في مقدمتهم فرج بك وقابلهم الخلفاء بالترحاب وشكروهم على حقن الدماء ، ثم أخذ أحمد ود سليمان رؤساء الحامية لمقابلة الإمام المهدي وتولي خليفة المهدي أمر العساكر فنصب لهم الخيام وعاد إليهم ضباطهم بعد مقابلة الإمام المهدي ، وكان مؤذن معسكرهم الشيخ محمد علوان الذي صار مؤذناً في جامع الشيخ دفع الله في عهد حكومة الحكم الثنائي ، وأقاموا في مكانهم ذلك بضعة أيّام ثم وزعوا على الجيش ، فضم الجهادية إلي الجهادية والمصريون إلي المصريون وكل جنسٍ لجنسه[1].

وكان غردون يشاهد حركة التسليم من سرايا الخرطوم فشق عليه ذلك جداً ، فقيل أنه أخذ يضرب الأرض برجليه ودموعه تجري على خديه وشيع العساكر بنظره إلي أنّ غابوا عن عينيه[2] نجد أنّ الإمام المهدي سرّ بهذا الفتح وفرح به وبشرّ بأنه بلغ مقصوده بهذا الفتح المبين وبشر الأنصار أن أمر الخرطوم بعد أمدرمان قد حان لنا فتحها بإذن الرحمن ، وأخبرهم أنه في حضرة نبوية جاءه (الرسول صلي الله عليه وسلم) والخضر عليه السلام وبشروه بفتح الخرطوم أو تسليم غردون[3].

سابعاً تحرير الخرطوم:

فرح الإمام المهدي بفتح أمدرمان وحصل له السرور أنه بلغ مقصوده بهذا الفتح المبين ، وبشر الأنصار أن أمر الخرطوم قد حان لنا فتحه بإذن الرحمن ، وأبلغهم أنه في حضرة نبوية قد جاءه الخضر عليه السلام والرسول صلي الله عليه وسلم وبشراه بفتح الخرطوم أو تسليم غردون ، وبدأت حين ذلك المكاتبات بينه وما بين سعادة غردون باشا[4].

ثم أذن الإمام المهدي لأنصاره بحصار الخرطوم ، فضايقوا عليها أشد الضيق حتى ضاق بهم الحال من الجوع واشتد القرح بهم حتى لجئوا لأكل الجلود وأخيراً أخبر الإمام المهدي أنصاره بأن نبي الله الخضر قد أخبره في حضرة نبوية أخري بقتل أهالي الخرطوم المقاومين وأن أرواحهم مقبوضة ما عليكم إلا الطعن بالحراب ، ثم قطع البحر من البر الغربي إلي البر الشرقي بمشروع

[1]- نعوم شقير : المرجع السابق ، ص 854 .

[2]- يوسف ميخائيل: مزكرات يوسف ميخائيل (التركية والمهدية والحكم الثنائي في السودان) تقديم وتحقيق أحمد إبراهيم أبو شوك ، ط[2] 2004م ، مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي/ أمدرمان ، ص ص (118 ،119)

[3]- نعوم شقير : المرجع السابق ، ص 854 .

[4]- يوسف ميخائيل: المرجع السابق ، ص118 .

الفتيح قُصاد شجرة غردون ليلاً بكافة الأنصار ، ثم أمرهم بالهجوم بعد صلاة الفجر فقتل غردون وكل من قاوم وتم تحرير الخرطوم في صبيحة 26 من يناير 1885م ، فحصل للأنصار الفرح والسرور الزائد – فصار محمد أحمد بن عبد الله سيد البلاد ووالي الأمر على سائر الإنس والجان . وبعد فتح الخرطوم بيومين حضرت وصلت حملة إنقاذ غردون ، ولما علموا أن غردون قد قُتل رجعوا إلي قواعدهم يجرون أذيال الخيبة ، ثم أمر السيد الإمام المهدي بنقل العاصمة من الخرطوم إلي أمدرمان وبني داره فيها هناك ثم توفي بعد ستة شهور فقط بعد تحرير الخرطوم[1] .

خاتِمــة:

التحق الأمير حمدان أبي عنجة بالثورة المهدية أثناء هجرة السيد الإمام المهدي إلي قدير ، قادماً من أواسط إفريقيا بعد أن كان يتبع لرابح فضل الله . وزاع صيته بعد أن أوكل له المهدي قيادة فرقة الجهادية التي نجحت بقيادته لها في انتصارات المهدية في الميادين المختلفة حتى فتح الخرطوم .

أدي الأمير حمدان أبي عنجة دوراً مهماً وعظيماً بسلسلة مجهوداته وانتصاراته العسكرية التي ساهمت في فتح الخرطوم وتحريرها من قبضة الحكم التركي المصري ، وذلك بحصاره لحامية أمدرمان بعد أن قام بإعادة ترتيب وتنظيم جنوده من أجل مواجهة استحكامات الحامية التي استعصت عليهم في البداية ، والتي لم تستسلم لهم إلا بعد أن كلفت الأمير حمدان أبي عنجة جهود مضنية ومثابرات ظلت مستمرة نتيجة للمقاومة العنيفة التي واجهها من قِبل حراس الحامية ومصداتها المنيعة . حيث سُرّ المهدي سروراً عظيماً بفتح أمدرمان وبشر بفتح الخرطوم في القريب العاجل .

النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

1- يُعتبر حمدان أبي عنجة من الأمراء الذين عينهم الإمام المهدي بنفسه ، وكلفه بمهمة حصار أمدرمان لسابق درايته بفنون الحرب ومعرفة حيلها .

2- فشلت كل محاولات غردون باشا وقائد حامية أمدرمان في صد هجوم أبي عنجة العنيف أوحتى سحب الحامية .

3- نجح الأمير حمدان أبي عنجة في فتح قلعة أمدرمان في 5 يناير 1885م ، مما عجل ذلك بفتح الخرطوم وتحريرها.

[1]- نفس المرجع: ص ص (119 – 122)

ثانياً: التوصيات:

1- دراسة دور أمراء المهدية ومعرفة جهودهم في صناعة الأحداث المهدوية كحركة مُقاومة وتحرير وطني ضد الأتراك في السودان.

2- معرفة المزيد من مجهودات أمراء المهدية وكيفية مساهمتهم في تاريخها بعد أنّ بذلوا أرواحهم رخيصة لأجلها ولأجل الوطن.

المصادر والمراجع

(1) محمد سعيد القدال: المهدية والحبشة (دراسات في السياسة الداخلية والخارجية لدولة المهدية (1881-1898م) ط 1973م ، دار التأليف والترجمة والنشر/جامعة الخرطوم.

(2) أمينة فيفيان ياجي: رجال حول المهدي ، ترجمة مكي بشير مصطفي ، ط2001م، شركة الخرطوم للطباعة والنشر.

(3) إبراهيم فوزي باشا: السودان بين يدي غردون وكتشنر ، تقديم عبد الوهاب بابكر ، ج1 ، ط2015م ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية/القاهرة.

(4) محمد سعيد القدال: تاريخ السودان الحديث (1821 – 1855م) ط1991م ، دار جامعة الخرطوم للنشر.

(5) على المهدي: جهاد في سبيل الله ، تحقيق عبد الله محمد احمد ، ط1965م ، دار جامعة الخرطوم للنشر.

(6) محمد محجوب مالك : المقاومة الداخلية للحركة المهدية (1881- 1898م) د.ت ، دار الجيل/بيروت .

(7) مكي شبيكة : تاريخ شعوب وادي النيل (مصر والسودان) في القرن التاسع عشر الميلادي، ط1980م ، دار الثقافة/ بيروت .

(8) نعوم شقير : جغرافية وتاريخ السودان، ط^2 1972م ، دار الثقافة للنشر/ بيروت لبنان.

(9) الأب جوزيف أورفالدر : عشر سنوات من الأسر في معسكر المهدي ، (1882 – 1892م) ترجمة السفير عوض أحمد محمد الضو ، ط2008م ، دار الثقافة للنشر/بيروت.

(10) أمينة فيفيان ياجي : الخليفة عبد الله حياته وسياسته (أطروحة دكتوراه قدمتها عام 1990م) ، ترجمة مكي بشير مصطفي ، مراجعة الريح عبدالقادر ، ط1990م .

(11) الميجر إف . آر : ونجت (1891م) تقديم بي . إم . هولت ، ترجمة محمد المصطفي حسن عبد الكريم ، ط1968م ، المطبعة المصرية/القاهرة .

(12) عبد المحمود أبو شامة : من أبا إلي تسلهاي ، ط1986م ، د.ت .

(13) يوسف ميخائيل: مزكرات يوسف ميخائيل (التركية والمهدية والحكم الثنائي في السودان) تقديم وتحقيق أحمد إبراهيم أبو شوك، ط2 2004م ، مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي/ أمدرمان .

(14) f.R.Wingate :lenyears coptivitrin the mahdiscom(1) 1882

1892)Release date june8 2010 p125 .

(15) Kalifa Abdullah summoned Abu Anga to Omdurman p159